1

الفصل الأول

فن الاستماع وطبيعته وأهميته والعوامل المؤثرة وعلاقته بالتحدث

مقدمة:

الاستماع أحد الفنون اللغُّوية المؤثرة في اتصال الطفل بالعالم الخارجي المحيط به، وبالآخرين من حوله؛ حيث إنه يستطيع من خلاله اكتساب عدد من المفردات اللغُّوية، وأنماط الجمل والتراكيب، والأفكار، والمفاهيم. وكذلك تنمية المهارات اللغوية المتعلقة بالتحدث، والقراءة، والكتابة. فالطفل الذي لديه قدرة على تمييز الأصوات، ويستمع جيداً إلى ما هو مختلف، وما هو متشابه، وأسلوب نطقهما، ومخارج الحروف الصوتية، ويستطيع أن يميز بين الأفكار الأساسية، والأفكار الثانوية في الموضوعات التي يستمع إليها من الآخرين، وغير ذلك من المهارات الأساسية في تعلم اللغة؛ فإن ذلك سوف يساعده على الاتصال بالآخرين، وفهم آرائهم، والتعامل معهم بأسلوب يمكنه من التقدم والاستمرار في حياته التعليمية والعملية.

معنى ذلك أن الاستماع شرط أساسي للنمو اللغوي، فالطفل الذي يولد أصماً أو به عيوب في السمع؛ فإنه لا يستطيع الكلام، وبالتالي لا يستطيع القراءة والكتابة بالطريقة التي يتكلم ويقرأ ويكتب بها غيره من الناس العاديين. فعن طريق الاستماع يكتسب الطفل ثروته اللفظية عن طريق ربط الصوت والصورة، والصورة والحركة، والصوت والعمل.

كما أشار محمد صلاح الدين مجاور (1983–211) إلى مكانة الاستماع ودوره في حياة الطفل وتعليمه فقال: "إن الاستماع يشكل حوالى 45% من النشاط اللغوي الذي يمارسه الفرد يوميًا، وطفل ما قبل المدرسة يسمع، ويفهم كثيرًا مما يسمع، حتى من قبل أن يتكلم، وبصورة أكثر مما يتوقع الكبار. هذا الطفل يواجه كثيراً من المواقف التي يكون فيها التحدث والاستماع أمرًا ضروريًا، والأطفال في تحدثهم واستماعهم يتأثرون بما لديهم من خبرات، وبما شاهدوه من أشياء، وبما عملوا وما سمعوا، وبما يحدث في حياتهم، ويقع لأسرهم وأصدقائهم.

كما وضح محمد رفقي (1987–121) أيضاً "أن الأطفال يمارسون فن الاستماع قبل أن يمارسوا أي فن آخر من فنون اللغة، ويظل أكثرها استخداماً لدى الإنسان. وتعتبر تلك المهارة أساس التلقي والتعلم، فالطفل إذا ما أحسن الاستماع كان أحسن تحدثًا، وأفضل وأرقى تعلماً، وإذا ما تمكنت المعلمة من إكساب الأطفال تلك المهارة، وذلك الفن كان لبرامج التنمية اللغوية، وكذلك التنمية العقلية والحسية أكبر أثر، وأفضل جدوى.

ومن الدراسات التي تشير إلى علاقة الاستماع بالفنون اللغوية الأخرى دراسة Mann (1993) التي أظهرت أن القراء الضعاف من أطفال عينته كانت قدراتهم ضعيفة في تذكر تتابع الكلمات، وقد توصل إلى هذه النتيجة من خلال استخدامه لأسلوب تقديم كلمات مصحوبة بصور معينة يطلب من الأطفال النظر إليها مع الاستماع بصوت عال إلى أسمائها، وعليهم أن يتذكروا هذه الكلمات، ويميزوا بينها فيما هو مختلف في نظامه الصوتي.

كما وجد Bradley & Bryant (1985) علاقة قوية بين قدرة طفل الروضة على حذف الكلمة المختلفة في بدايتها الصوتية وتقدمه في التعلم أو التهجئة بدءاً من ثلاث سنوات.

كما أوضح Rack (1994) أيضاً أن تعلم الطفل كيفية نطق صوت الحرف يعد أحد المهارات الأساسية التي تصل بين مهارات الاستماع والتنبؤ بقدرة الطفل على تعلم النطق والتهجي والقراءة فيما بعد؛ فإذا استطاع الطفل أن يتقن الوسائل الفعالة من خلال التعلم الذاتي لصوت الحرف؛ فإنه بمقدوره أن يتعلم كلمات جديدة.

واتفاقاً مع ما سبق فقد أشار كل من سمير الميلادي وحنان سراج (1989 –146) إلى دور الاستماع في تكوين وتدعيم مهارات الاستعداد للقراءة في مرحلة رياض الأطفال بصفة عامة، والتحدث بصفة خاصة؛ حيث أشارا إلى أن التدريب على التمييز السمعي وذلك بتدريب الطفل على التمييز بين المتشابه والمختلف من الحروف والكلمات، والاستماع إليها، وإدراك أصواتها عن طريق الأناشيد والقصص، وتزويد الطفل بخبرات ومعلومات مباشرة وغير مباشرة؛ إنما يساعد على تعلم الطفل القراءة بيسر وسهولة وكذلك القدرة على التحدث بجرأة وطلاقة.

كما أشار محمد رفقي (مرجع سابق – 120) إلى أن مهارات التنمية اللغوية في مرحلة الرياض تشتمل على عدد من المهارات الأساسية تتصل أساسًا بفنون اللغة، أولها تنمية مهارات الاستماع، ثم تنمية مهارة التحدث، ثم إتقان التواصل اللغوي، ثم اكتساب المدلولات اللفظية للمفاهيم المناسبة للمرحلة، وأخيرًا التهيؤ للقراءة والكتابة.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الاستماع هو اللبنة الأولي الأساسية في تنمية المهارات اللغوية بصفة عامة، ثم تدريب الطفل على التحدث بصفة خاصة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل مهارة الاستماع تنمو طبيعياً مع نمو الطفل. أم أنها تحتاج إلى مران وتدريب متواصل كي تنمو خلال مراحل نموه؟

وللإجابة عن هذا السؤال فقد أشار محمود رشدي خاطر وآخرون (1981– 164–165) إلى أن هناك اعتقادات خاطئة، وأساليب تربوية غير صحيحة تهمل التدريب على مهارات الاستماع وتنميتها، وتشير إلى أن مهارات الاستماع تنمو مع الطفل بشكل طبيعي كالمشي أو الكلام، ومنها الاعتقاد بأن الاستماع هو السماع لا فرق كبير بينهما، ومنها الاعتقاد بأن الاستماع نشاط مصاحب لأنشطة أخرى، ومهارة مشتركة مع غيرها من المهارات مما لا يستوجب أن تخصص لها حصصاً لتدريسها، أو أوقاتًا لتنميتها، وهذه الاعتقادات أدت إلى قلة البحث في هذه المهارة وأسلوب قياسها؛ وهذا أمر قابل للمناقشة حيث إن الاستماع من الأنشطة التي تكتسب عن طريق التدريب والممارسة والتوجيه شأنها شأن أية مهارة أخرى، كما أنها من المهارات التي تحتاج إلى تخطيط جيد، وإعداد مسبق مثل المهارات الأخرى التي يراد تحقيق هدف مقصود سبق تحديده.

كما أشار صلاح الدين مجاور (مرجع سابق، 122) إلى أن "الاستماع يمثل أول مراحل النمو اللغوي عند الطفل فهو يسمع، ويفهم، ثم يتحدث ويتكلم قبل أن يبدأ القراءة والكتابة بسنوات، والاستماع للطفل يشكل خلفية من الخبرات تكون عوناً له في التحدث، وهما معاً يشكلان العديد من الخبرات ذات الأثر في تهيئة الطفل، واستعداده للقراءة، ومن ثم يجب أن يكون هناك تدريب في مراحل التعليم المختلفة للمتعلم على الاستماع الجيد وآدابه. فطفل الرياض وطفل المدرسة الابتدائية، وتلميذ المدرسة الثانوية مع اختلاف مستوى الاستماع، وفترات تدريبه؛ يمكن أن يكون هناك وقت مخصص محدد لتدريبهم على الاستماع ومهاراته".

وبالرغم من أهمية الاستماع في إكساب الطفل مهارات اللغة المختلفة في مرحلة رياض الأطفال، أو ما قبل المدرسة؛ إلا أنه لم يحظ باهتمام الباحثين والتربويين لدراسته رغم أنها المرحلة الأساسية التي يدرب فيها الطفل على الاستماع الجيد، ومن ثم التحدث الجيد الذي يساعده على التواصل، والتعبير، والتعامل مع الآخرين؛ مما دعا الباحثة إلى أن تطرق مجال هذا البحث خاصة وأن الدراسات السابقة العربية التي تمت في هذا المجال اقتصرت على عاملي التمييز السمعي والبصري وأثرهما على الاستعداد للقراءة، أو تنمية المهارات اللغوية بصفة عامة، أو على تنمية بعض مهارات التحدث في مرحلة ما قبل المدرسة.

يسير هذا الفصل على النحو التالي:

* عرض طبيعة عملية الاستماع، وأهميته، والعوامل المؤثرة في نمو وتطور مهارة الاستماع عند الطفل مدعماً ذلك بالدراسات التي تناولته.

* كيفية تدريب الطفل على الاستماع الجيد.
* الأنشطة التي تنمى مهارات الاستماع.
* العلاقة بين الاستماع والتحدث.
* كيفية تقييم مهارات الاستماع والتحدث.

أولاً: طبيعة عملية الاستماع

دارت العديد من الآراء التربوية حول طبيعة عملية الاستماع، من حيث كونها مهارة تنمو طبيعياً مع نمو الطفل مثلها مثل أية مهارة أخرى، أو من حيث كونها مهارة تحتاج إلى البحث والدراسة المتعلقة بالبحث العلمي، والقياس الكمي. أو من حيث كون الاستماع مرادفاً للسماع، أو إنها مهارة تشترك مع غيرها من المهارات الأخرى؛ مما لا يستوجب تخصيص حصص لها، أو أوقات لتنميتها. وسوف تعرض المؤلفة تعريفاً لكل من السماع والاستماع والإنصات وذلك على النحو التالي:

السمـــاع: هو كل ما يطرق الأذن من أصوات دون انتباه واهتمام لتلك الأصوات.

الاستماع: هو إعطاء اهتمام وعناية لاستقبال الأصوات والمعلومات بهدف فهم مضمونها.

الإنصات: هو أيضاً يتضمن الاستماع ولكن بدرجة أعلى من الاهتمام والانتباه لفهم المضمون وتحليله. معنى ذلك أن الاختلاف بينها في الدرجة وشدة الانتباه.

فالاستماع في أساسه نشاط ذهني وليس أذنياً فقط، حيث يتم عن طريقه معالجة الأصوات المستقبلة، وتحويلها إلى كلمات، وجمل، حتى يتمكن السامع من إعطاء معنى لهذه الأصوات.

وهذا يعني أن هذه العملية باعتبارها مهارة تحتاج إلى مزيد من المران والتدريب، وبذل الجهد لتنميتها لأنها عامل أساسي في عملية الاتصال، حيث إنها تقوم عن طريقين أساسيين هما مرسل ومستقبل (أو متحدث ومستمع).

وقد أشار عديد من التربويين والباحثين إلى هذه النظرة وإلى السبل التي يمكن من خلالها تنمية هذه العملية، وكيفية تقويمها أو قياسها.

كما أشار جونسون1981 إلى أن الاستماع يمثل جانباً كبيراً في التعلم، وأنه وسيلتنا